**دروس عبر الخط:** التاريخ: 2021/01/10

**المقياس:** التحليل النفسي للأدب. **الأستاذ:** فريد زغلامي.

**الجمهور المستهدف:** السنة الثالثة ليسانس تخصص: نقد ومناهج

## المحاضرة الثانية: علاقة الأدب بالأحاسيس النفسية.

عادة ما يُعرّف الأدب على أنه أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل عواطف الإنسان وأفكاره وخواطره وهواجسه بأرقى الأساليب الكتابية، التي تتنوع من النثر إلى النثر المنظوم إلى الشعر الموزون. يقول "عباس محمود العقاد":"التعبير عن النفس هو الأدب في لبابه"؛ فبه يُكشف المكنون وتُوضّح الأسرار وتُخْرج الأحاسيس من عالم الخفاء إلى عالم النور.

فالأدب يُفصح عن معاني النفس وأشواقها وآلامها وآمالها، وهذه الوظيفة الوجدانية تسمح للأدب بالديمومة والاستمرار والخلود؛ وذلك طموح كل أديب. ففي الأدب الغنائي الوجداني نجد الأديب يوظف مشاعره وعواطفه إلى أقصى الحدود، فيزاوج بين الحق والباطل، ويلبس أحدهما حلة الآخر، رغم أنه يميّز بينهما في حالة اليقظة العقلية؛ بمعنى أن الأديب يؤلف مسرحية مثلا فلا يُضيره أن يلبس وشاح الملك أو مرقّعة المهرج. إنه على استعداد أن يكون ذا شرف شريف مع البطل، وصاحب خسة خسيسة مع هذا النذل، واختصارا فإن الفواصل بين الحق والباطل تنمحي أمامه؛ إذ كل همه امتلاك الوجدان لا السيطرة على العقل وإقناعه.

لكن الحالات الوجدانية لها من الثراء والتنوع ما يفوق اللغة نفسها، فمثلا نقول: "**أعجبتني الوردة**" و "**أعجبتني العمارة**" ولكن الحالة النفسية للإعجاب بالوردة تختلف عن الحالة الباطنية للإعجاب بالعمارة. إنه عجز اللغة عن نقل كل ما نجده في نفوسنا، وبناءً على هذا يتخذ الشاعر من الصورة الفنية مطية لبلوغ هذه المجالات الغامضة من أغوار النفس، فالشعر كله يستعمل الصور ليعبر عن حالات غامضة لا يُستطاع بلوغها مباشرة، أو من أجل أن تنقل الدلالة الحقة لما يجده الشاعر من أحاسيس وخواطر.

وقد ذهبت نظرية التعبير الى أن الأدب تعبيرا عن الذات ، أ تعبير عن العواطف والمشاعر، والأدب علم المشاعر والأحاسيس ، فالقلب هو ضوء الحقيقة لا العقل . أما مهمة الأدب ووظيفته فتتمثل في إثارة الانفعالات والعواطف، فحين يتخذ الحب موضوعا له فإن هذا الموضوع ينبغي أن يثير في النفس (نفس القارئ) ، يقول : " وليام وورزورث " إن كل شعر جيد هو فيض تلقائي لمشاعر قوية "، فالعواطف هي التي تعطي الموضوع المعالج معناه وقيمته .

وقد حدد "أرسطو" قديما وظيفة الشعر بأنها تطهير للذات الإنسانية (القارئ) من خلال تنمية عاطفتي الشفقة و الخوف في التراجيديا ، فهي تجعل المشاهد أكثر قوة من خلال التطهير . فعند مشاهدتنا لتراجيديا أوديب ملكا لسوفوكليس ، ذلك الملك الذي انتهى إلى قتل أبيه والزواج من أمه دون أن يعرف ، وحينما عرف فقأ عينيه وهام على وجهه؛ فإننا نشعر بالشفقة على البطل التراجيدي؛ لأن الكوارث التي حلت به لا يستحقها ،كما أننا نشعر بالخوف لأن ما حدث للبطل قد يحدث لنا . ومن (البكاء في التراجيديا ة الضحك في الكوميديا )؛ أي تجعلنا أكثر توازنا من الناحية الانفعالية والعاطفية، وبالتالي فإن المشاهد يشعر بالراحة والقوة.

غير أن أثر التراجيديا في المتلقي أثناء المشاهدة تتمثل في أنها تجعله أكثر سرورا لأنها تريه العذاب دون أن يتعذب مع أن البطل قد يتصف بالأنانية مثلا . كما تشعره بالتفوق إزاء الشخصية التراجيدية التي تتألم. غير أننا في نهاية التراجيديا نشعر بالسرور من خلال المقارنة الضمنية التي توضح أن عذاباتنا أقل من عذاب أشخاصها فنشعر بالارتياح وربما بالقوة حين ندرك أن مشاكلنا وهمومنا محدودة مقارنة مع كوارث ومصائب الشخصيات التراجيدية وبالتالي نصبح أكثر قوة وقدرة على التصدي لها وحلها .

وقد تناول النقاد العرب القدامى ذلك من خلال حديثهم عن بواعث الشعر ومتهيئاته وعلاقته بقائله وتأثره بمزاجه وظروفه ، كل ذلك في شيء من الدقة و الايجاز ، فقالوا :" أشعر

الناس امرؤ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب (خاف) ، و الأعشى إذا شرب". وبذلك رأوا أن لكل واحد منهما استجابات نفسية معينة تدفعه لقول الشعر ، فهذا امرؤ القيس يشحذ قريحته بركوب الخيل و مطاردة الصيد ، وهذا زهير تدفعه الرغبة إلى مقدمة الشعراء . وكان أجود شعر النابغة اعتذارياته، أما الأعشى فتفيض ينابيع شعره في حالة سكره. ومنه فلكل شاعر بواعثه النفسية لقول الشعر.

## مراجع المحاضرة:


1) شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، دار الفارس، عمان، الأردن، ط1، 2005.
2) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1981.
3) فارس لزهر، نظرية الأدب والنقد عند زكي نجيب محمود، أطروحة دكتوراه علوم، إشراف: يحي الشيخ صالح، كلية الآداب واللغات، جامعة قسنطينة، 2009/ 2010.